دور موسم الحج في تعزيز التواصل العلمي والثقافي في عصر الدولة الرسولية

أ.د عبد الغني أحمد علي الحاوري[1]

الملخص:

سعت الدراسة إلى تسليط الضوء على الدور الذي يقوم به موسم الحج في تعزيز التواصل العلمي والثقافي في عصر الدولة الرسولية، ولتحقيق ذلك تم استخدام ثلاثة مناهج الأول: المنهج التاريخي؛ للاطلاع على المصادر والمراجع التاريخية التي وثقت لعملية التواصل العلمي في العصر الرسولي، والثاني: المنهج الوصفي التحليلي لوصف العلاقة بين موسم الحج وبين الحراك العلمي والثقافي الذي تم خلال فترة الدولة الرسولية، أما الثالث فهو المنهج المقارن لإجراء المقارنة في بعض جوانب النهضة العلمية أيام الحضارة الاسلامية، ومن أبرز النتائج التي تم التوصل إليها: شهدت اليمن أيام الدولة الرسولية ازدهارًا علميًا وثقافيًا ملحوظًا، تجلى ذلك في اهتمام السلاطين والأمراء والتجار بتشجيع العلم والعلماء ولم يكن ذلك الاهتمام مقتصرًا على تشجيع العلم والعلماء فحسب؛ وإنما مشاركة السلاطين في التأليف الذي هو الأخر لم يكن قاصرًا على أحد السلاطين وإنما ظهرت سلالة جمعت بين رعاية العلم والتأليف ليس في العلوم الشرعية فحسب بل في الطب والزراعة والرياضيات والفلك وغيرها، كما أكدت النتائج أن الحج ساهم في بناء النهضة العلمية والحضارية في اليمن، ومثل نقطة التقاء وتواصل للعلماء من اليمن وبقية البلدان الإسلامية، وقد برز العديد من العلماء اليمنيين وغير اليمنيين الذين كان لهم دور فاعل في عملية التواصل العلمي والاحتكاك الثقافي.

الكلمات المفتاحية: موسم الحج، التواصل العلمي والثقافي، الدولة الرسولية، السلاطين الرسوليين.

[1] أستاذ أصول التربية- كلية التربية جامعة صنعاء.

Alhaweri555@gmail.com

The Role of the Hajj Season in Enhancing Scientific and Cultural Exchange during the Rasulid Era

Abstract:

The study aimed to highlight the role of the Hajj season in enhancing scientific and cultural communication during the Rasulid Dynasty era. To achieve this, three methodologies were employed: first, the historical method to review the sources and references that documented the process of scientific communication during the Rasulid era; second the descriptive-analytical method to describe the relationship between the Hajj season and the scientific and cultural activity that took place during the Rasulid period; and thirdly, the comparative method to draw comparisons between aspects of the scientific renaissance during the Islamic civilization. Among the most prominent findings of the study: Yemen witnessed a remarkable scientific and cultural flourishing during the Rasulid era, evident in the attention given by sultans, princes, and merchants to promote science and support scientists. This attention was not limited to patronizing science and scholars; rather, it extended to the authorship of the sultans themselves. Moreover, this authorship was not confined to a single sultan but was a dynastic tradition, encompassing not only religious sciences but also medicine, agriculture, mathematics, astronomy, and other fields. The findings also confirmed that the Hajj contributed to building the scientific and civilizational renaissance in Yemen and served as a meeting point and a means of communication for scholars from Yemen and other Islamic countries. Consequently, numerous Yemeni and non-Yemeni scholars emerged who played an active role in the process of scientific communication and cultural interaction.

Keywords: Hajj season, scientific and cultural communication, Rasulid Dynasty, Rasulid sultans.

المقدمة:

الحج ليس شعيرة دينية فحسب؛ بل هو ملتقي علمي ومنتدى ثقافي يجمع العلماء من مختلف البلدان العربية والإسلامية، وهو محطة لتبادل الأفكار والتزود بالمعارف، وقد شهد الحج العديد من اللقاءات العلمية والنقاشات الفكرية وتبادل المخطوطات والكتب، وكان العلماء والباحثين يستغلون هذه المواسم للتباحث في مختلف المسائل والعلوم، وقد أسهمت المناظرات العلمية التي كانت تجري بين العلماء في تطوير العلوم وتبادل الأفكار، وتعزيز التواصل بين المدارس الفكرية في أرجاء العالم الإسلامي، الأمر الذي عُد الحج جسر لنقل المعارف وتطوير العلوم، وتداول الجديد.

وتعد الدولة الرسولية• من أهم الدول التي كان لها شرف الاهتمام بالعلم وتشجيع العلوم في مختلف المجالات، ليس على مستوى اليمن فقط؛ وإنما على مستوى العالم الإسلامي مما أهلها لتكون مركزًا علميًا تصبو إليه الأفئدة، ويسافر إليها العلماء من كل أقطار العالم العربي والإسلامي، وقد اهتم سلاطين الدولة الرسولية ببناء المدارس وتشجيع العلماء على البحث والتأليف. وتقديم الرعاية الكاملة، بل واستقطابهم من مختلف الأقطار العربية والإسلامية، وتعيينهم في مناصب رفيعة، كما اهتموا بجمع المخطوطات والكتب النادرة، ونشرها بين الناس. بالإضافة إلى ذلك، فقد شجعوا العلماء على المشاركة في مواسم الحج على اعتبار أن موسم الحج فرصة ثمينة لتعزيز التواصل العلمي بين علماء اليمن والعلماء من مختلف البلدان الإسلامية.

وقد ازدهرت الحركة العلمية في عهد الدولة الرسولية في شتى مجالات العلم، وبرز الكثير من العلماء الذين صنفوا مصنفات قيمة، وشاركهم في ذلك ملوك الدولة الرسولية الذين كانت لهم إسهامات عظيمة في التأليف والإنتاج العلمي ليس في الجوانب الشرعية واللغوية فقط؛ وإنما في المجالات التطبيقية مثل الحساب والطب والزراعة والبيطرة والفلك وغيرها من العلوم.

ولم يقتصر اهتمام السلاطين الرسوليين بعلماء اليمن؛ وإنما طال العلماء الوافدين إلى اليمن

• قامت الدولة الرسولية في اليمن خلال الفترة (626-858هـ/ 1229-1454م)، وقد أسسها المنصور عمر بن علي بن رسول الذي دخل اليمن مع جيش الدولة الأيوبية التي حكمت اليمن لمدة 57 عامًا منذ (569-626هـ/ 1173-1229م) وقد عين الأيوبيين عمر بن رسول واليًا على زبيد، وبعد انحسار النفوذ الأيوبي في اليمن بسبب انشغالهم في مصر والشام استقل بحكم اليمن، وأعلن نفسه سلطانًا على اليمن مؤسسًا بذلك الدولة الرسولية.

أمثال محمد بن يعقوب الفيروز أبادي[♦] (ت817هـ/ 1414م) الذي اهتم به السلطان الأشرف الثاني[●●1] وأنزله منزلة تليق بمقامه وانعم عليه العطايا وقلده منصب القضاء العام باليمن (الخزرجي، 1814، ص229). ومن قدم إلى اليمن في فترة الدولة الرسولية الرحالة ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت 779هـ/ 1377م)، وقد دون مشاهداته وانطباعاته عن بعض المدن اليمنية ومنها زبيد في رسالته المشهورة (ابن بطوطة، 1985، ص272).

ويُعرف التواصل العلمي بأنه " عملية تبادل للمعرفة والأفكار والمعلومات بين العلماء والباحثين عبر وسائط مباشرة وغير مباشرة بهدف نشرها وتطويرها وتعزيز التراكم العلمي" (الدوري، 2016، 145)، وهو " نظام اجتماعي ثقافي يتم من خلال تداول المعارف وتطويرها في إطار من التفاعل المستمر بين العلماء والمجتمعات" (الجابري، 1986، ص55)، أما التواصل الثقافي فهو " تبادل الرموز والأفكار والقيم والعادات بين الشعوب أو الجماعات مما يؤدي إلى إثراء المشهد الثقافي، وإيجاد قواسم مشتركة أو تأثيرات متبادلة" (هول، 2001، ص74)، وهو" محصلة العمليات التي تتم من خلال انتقال الثقافة والجماعات سواءً عبر الاحتكاك المباشر أو عبر الوسائط كالكتب والرحلات والأسواق" (حسين، 1967، ص33).

وباستقراء الأدب السابق يتبين أن هناك العديد من الدراسات السابقة التي اهتمت بدراسة الموضوع من جوانب متعددة، منها دراسة أحمد (1994) التي كشفت عن الدور الكبير للسلاطين الرسوليين في تطوير الحركة العلمية في تعز[♦] من خلال الهبات والعطايا المقدمة للعلماء، وأشارت النتائج إلى مساهمة المدارس العلمية والأربطة ودور الأيتام في ازدهار الحركة العلمية، كما كشفت عن الإنتاج العلمي لعلماء تعز الذي لم يقتصر على العلوم الشرعية وعلوم اللغة؛ وإنما توسع ليشمل

[♦♦♦] هو مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي من أعلام اللغة والمعاجم، ولد في شيراز ورحل في طلب العلم إلى مصر والشام والحجاز واليمن، ثم استقر به المقام في مدينة زبيد ومن أشهر مؤلفاته القاموس المحيط.

[●●1] هو الأشرف إسماعيل الثاني بن الأفضل العباس حكم خلال الفترة (877-803هـ/ 1376-1400م).

[♦♦♦] اتخذ السلاطين الرسوليين مدينة تعز عاصمة سياسية وإدارية لهم، وقد أصبحت مركزًا ثقافيًا وحضاريًا بارزًا، جمعت بين الوظائف السياسية والإدارية والعلمية، وشيدت فيها المدارس والمراكز العلمية، واحتضنت العديد من العلماء.

العلوم غير الشرعية كالطب والهندسة والصيدلة والحساب.

أما دراسة العبادي (1995)، فقد أوضحت أن مدينة زبيد عاشت حياة علمية ثرية من ملامحها انتشار المدارس والكتاتيب وخزائن الكتب، وكان لها دور فاعل في نشر العلم والمعرفة، وقد اهتمت تلك المدارس بنشر المذهب الشافعي والحنفي، واهتمت بالعلوم الشرعية كعلم القراءات والحديث، بالإضافة إلى العلوم المساندة، مثل: النحو والأدب والحساب والزراعة، وكشفت الدراسة عن المكانة العلمية لمدينة زبيد* وأثرها الفكري ليس على مستوى اليمن؛ وإنما على مستوى العالم الإسلامي، وكانت تربطها علاقات علمية قوية بحواضر العالم الإسلامي وليس أدل على ذلك من قدوم كثير من العلماء المسلمين إلى زبيد والعيش فيها من أمثال اللغوي المشهور الفيروز أبادي، وابن الجزري، والمؤرخ الفاسي، وابن حجر، والنحوي ابن الدماميني.

وتوصلت دراسة الحميدي (2008) إلى أن الملك الأفضل الرسولي عباس** لم يكن مؤرخًا فحسب؛ بل كان عالمًا موسوعيًا ومشاركًا في تأليف الكتب في الطب والزراعة وغيرها من العلوم، ومن أهم مصنفاته في الطب كتاب " اللمعة الكافية في الأدوية الشافية" وكتاب " نيل الأغراض في مداواة الأمراض"، وفي الزراعة له بعض المؤلفات منها" بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين"، وكتاب " المتألم والإسقاء في اليمن المحروسة"، أما دراسة معمر (2017) فقد أبانت الدور الكبير الذي يمثله موسم الحج في تعزيز عملية التواصل الفكري والعلمي بين علماء المغرب الأوسط وعلماء الحجاز واليمن وبقية الأقطار العربية، وأن رحلة الحج كانت تتخللها لقاءات علمية ومناظرات فكرية. بينما أشارت دراسة سليماني (2023) إلى تعدد مساهمات المجاورين الجزائريين في الحياة العلمية والاجتماعية بالحرمين الشريفين، وإثراء الحياة العلمية من خلال إلقاء الدروس، وتصنيف المؤلفات. فيما كشفت

---

* تعتبر مدينة زبيد عاصمة العلم والثقافة والحضارة في عهد الدولة الرسولية، وقد أنشأت العديد من المدارس والأربطة والمساجد الكبرى، واشتهرت بكثرة العلماء وصارت مقصدًا للباحثين والعلماء ليس من اليمن فقط؛ وإنما من سائر البلاد العربية والإسلامية.

** هو السلطان الأفضل عباس بن علي حكم خلال الفترة (764-778هـ/ 1363-1376م) كان له عناية خاصة بالثقافة والمعرفة، واهتم بجمع الكتب وتدوين المسائل العلمية، ودعم العلماء والطلاب، وساهم في ترسيخ النهج العلمي للدولة، وقد أشرف على تطوير المدارس.

دراسة مرزوق وشعباني (2023) عن الإسهام الكبير الذي قام به علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة العلمية من خلال ترأس حلقات الدروس سواءً في أروقة المسجد الحرام، والمدارس المشهورة، أو الأربطة المتواجدة في أماكن متفرقة من مكة، وتتويج تلاميذهم بالإجازات العلمية، وتزويد المكتبات بإنتاجهم الفكري، واصطحاب بعض الكتب وإهدائها لمكتبة الحرم الشريف. وأخيرًا توصلت دراسة قويدر (2023) إلى أن للعلماء المغاربة المجاورين أثر بارز في التفاعل الثقافي والتواصل العلمي مع مختلف الثقافات والأجناس، ويتجلى ذلك التفاعل والتواصل من خلال المجالس العلمية والمناظرات الفكرية وتبادل الاجازات والمؤلفات العلمية، كما كشفت عن إسهام علماء المغرب في إثراء الحركة العلمية والفكرية من خلال التفاعل مع العلماء أخذًا وسماعًا، إقراء وتعليميًا، إمامة وتدريسًا، قضاء وإفتاءً، تأليف وتصنيفًا.

ويلاحظ من خلال عرض الدراسات السابقة أن البعض منها ركزت على الجانب العلمي أيام الدولة الرسولية ودور السلاطين الرسوليين في تشجيع الحياة العلمية والثقافية وخاصة في حواضر تلك الدولة، مثل: تعز التي كانت العاصمة السياسية والإدارية للدولة الرسولية، واهتمت دراسات أخرى بالدور الذي قام به العلماء المغاربة المجاورون للحرمين الشريفين في نشر العلم وتعزيز التواصل العلمي والفكري وتطوير الحياة العلمية والثقافية في موسم الحج غير أنه يلاحظ افتقار الأدب السابق لدراسات تناولت جانب مهم ورافد أساس من روافد النهضة العلمية في اليمن والمتمثل في موسم الحج الذي لم يكن مجرد شعيرة دينية او مناسبة تعبدية فقط؛ وإنما كان ملتقى كبير وفرصة مهمة للتواصل العلمي والثقافي وتبادل الخبرات والمعارف والكتب وآخر المؤلفات، فموسم الحج كان نقطة التقاء للعلماء من كافة البلاد الإسلامية، وهو فرصة عظيمة للاحتكاك العلمي والاطلاع على ما لدى علماء كل بلد من نتاجات علمية ومؤلفات حديثة، وهذا ما اضطلعت به الدراسة الحالية.

وقد تم اختيار الموضوع لعدد من الاعتبارات منها: ما تمثله الفترة التي حكمت فيها الدولة الرسولية اليمن من نهضة علمية وثقافية واسعة، بما يمكن عدها علامة فارقة في التاريخ اليمني، ونقطة مضيئة جعلت اليمن تتبوء مكانة علمية ومعرفية عربيًا وإسلاميًا. وهي محاولة لإعطاء الدولة الرسولية حقها من الاحترام والعرفان بالدور الذي قامت به في تحقيق النهضة العلمية في اليمن ليس في المجالات الشرعية واللغوية فحسب؛ وإنما في مختلف العلوم التطبيقية، مثل: الطب والهندسة والحساب والزراعة وغيرها من العلوم، ناهيك عن شحة الدراسات التي اهتمت برافد مهم من روافد النهضة

العلمية في اليمن، وهو موسم الحج الذي يعتبر من أهم الروافد التي أدت إلى تحقيق النهضة العلمية معتمدًا على وجود الدولة الراعية للعلم والعلماء، ومستفيدًا من تحسن طرق الحج البرية والبحرية في فترة الدولة الرسولية.

إشكالية الدراسة:

يعد موسم الحج من أهم المناسبات التي توفر فرصة للتواصل العلمي والثقافي بين الشعوب، إذ لم يكن مجرد لقاءٍ دينيٍ أو فريضة تعبدية فحسب؛ وإنما يعد ملتقى حضاري، ومنتدى علميا واسعًا، يضم العلماء والباحثين من كل أقطار العالم، وعلى الرغم من وجود بعض الدراسات التي تناولت الدولة الرسولية من زوايا إدارية وعسكرية وحتى علمية إلا أنه يلاحظ افتقار هذه الدراسات لتناول قضية التواصل العلمي والثقافي أثناء موسم الحج – على الرغم من أهميته – خلال فترة الدولة الرسولية، ومن هنا تبرز الإشكالية الرئيسة للدراسة:

كيف ساهم الحج في تعزيز التواصل العلمي والثقافي في عصر الدولة الرسولية؟

تساؤلات الدراسة:

1. ما ملامح الحياة العلمية والثقافية في عصر الدولة الرسولية؟
2. ما دور الدولة الرسولية في تشجيع التواصل العلمي والثقافي في موسم الحج؟
3. ما دور موسم الحج في تعزيز التواصل العلمي والثقافي في عصر الدولة الرسولية؟
4. من هم أبرز العلماء الذين ساهموا في عملية التواصل العلمي في عصر الدولة الرسولية؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها تسد فجوة بحثية لم يتم تناولها سابقًا من قبل الدراسات السابقة أو الكتابات العلمية التي تتناول العلاقة بين موسم الحج والحراك العلمي والثقافي الذي حصل في اليمن أيام الدولة الرسولية، ما يعني أن الدراسة ستساهم في تسليط الضوء على جانب حضاري مهم من تاريخ الدولة الرسولية بما يعمل على إعادة تقييم ممارساتها العلمية والثقافية.

الفرضية الأساسية:

تفترض الدراسة أن موسم الحج في عصر الدولة الرسولية لم يكن مجرد فرصة دينية؛ بل أصبح جسرًا للتواصل العلمي والثقافي بين اليمن وبلدان العالم العربي والإسلامي مما ساهم في تعزيز الحضور العلمي للدولة الرسولية على مستوى العالم الإسلامي.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على **المنهج التاريخ** من خلال الاطلاع على الوثائق والمصادر التاريخية التي وثقت لحركة العلم والعلماء أثناء موسم الحج في عصر الدولة الرسولية، ودراسة التراجم والكتب والدراسات العلمية التي تطرقت لهذا الموضوع، كما تم استخدام **المنهج الوصفي التحليلي** لوصف وتفسير العلاقة بين موسم الحج وبين الحراك العلمي والثقافي والتواصل الذي تم خلال فترة الدولة الرسولية، بالإضافة إلى **المنهج المقارن** للمقارنة في بعض جوانب النهضة العلمية أيام الحضارة الاسلامية.

وقد انتظمت الدراسة في أربعة **محاور** هي:

المحور الأول. ملامح الحياة العلمية والثقافية في عصر الدولة الرسولية:

المحور الثاني. دور الدولة الرسولية في تشجيع التواصل العلمي والثقافي في موسم الحج:

المحور الثالث. دور الحج في تعزيز التواصل العلمي والثقافي في عصر الدولة الرسولية:

المحور الرابع. أبرز العلماء الذين ساهموا في عملية التواصل العلمي والثقافي في عصر الدولة الرسولية:

المحور الأول. ملامح الحياة العلمية والثقافية في عصر الدولة الرسولية:

شهدت اليمن خلال فترة الرسوليين نشاطًا فكريًا وعلميًا منقطع النظير، ويعد بحق عصر الازدهار العلمي في شتى المجالات، وحظيت الحركة العلمية بعناية فائقة من قبل الدولة التي كان عصرها من أزهى العصور اليمنية وأوسعها انتاجًا، ولم يقتصر هذا الاهتمام على السلاطين؛ بل اقتفى أثرهم أبنائهم ونساءهم ووزرائهم ومواليهم وأعيان عصرهم من العلماء والفقهاء والقضاة والتجار حتى أصبحت سمة من سمات دولتهم (الحميدي، 2008، ص271). وليس أدل على ذلك الاهتمام من اشتغال السلاطين والوزراء بطلب العلم والتأليف، والتشجيع على الابداع والعناية بالعلماء والاهتمام بدور العلم (العبادي، 1995، ص102).

وقد عمل الرسوليين على استقطاب العلماء وقدموا لهم كل ما يليق بمكانتهم وأكرموا وفادتهم وفتحوا لهم قصورهم يرتادونها وقت ما يشاؤوا، وعرضوا عليهم أرفع المناصب، الأمر الذي سهل لهؤلاء العلماء الابداع وجادت قرائحهم بالنفيس من المؤلفات والأبحاث في شتى العلوم والمعارف (الأصبحي، 2004، ص49).

وهو ما أدى أن يشهد العصر الرسولي حركة تأليف واسعة شملت كثير من العلوم، ولم يألوا

سلاطين الدولة الرسولية جهدًا في دعم هذه الحركة، وقد انتهجوا في هذا الدعم طرقًا عدة منها: تقديم العطايا والهبات للعلماء ورفع مقامهم، وقد حظي العلماء بمظاهر تكريم غدت مضرب المثل للباحثين والعلماء الآخرين (الحبشي، 1980، ص62). ومن تلك الطرق حث العلماء البارزين في فرع من فروع العلم بالتصنيف فيه ثم مكافأة ذلك العالم على هذا التصنيف (العبادي، 1995، ص121). وكان مبدأ الإثابة والمكافأة قد تم تأصيله منذ تأسيس الدولة الرسولية ولم يقتصر على المكافأة المالية المجزية؛ بل تعداه إلى رفع مقام العالم وإسناد المناصب إليه وقضاء حوائجه (الخزرجي، 1814، ص116).

وكان للسلطان المؤسس عمر بن علي• أثره في غرس حب العلم والعلماء في أبناءه وخلفاءه من بعده، وأُثر عنه شغفه بالعلم وصحبة العلماء (الجندي، 1995، ص542). وقد نشأ ابنه السلطان المظفر يوسف ●• نشأه عليمة، تشرب خلالها حب العلم والعلماء عن والده، وقد قال عنه الخزرجي بأنه " كان مشتغلا بالعلم آخذًا من كل فن بنصيب" (الخزرجي، 1814، ص233). ويرى بعض الباحثين أن وصول السلطان المظفر إلى سدة الحكم كان بمثابة دفعة قوية للحركة العلمية، إذ ما إن استقرت أوضاع الدولة الرسولية في عهده حتى شرع في بناء نهضة علمية واسعة، وشجع العلماء في مختلف المجالات، وقد أُنشأت المكتبات وتنافس الملوك والأمراء ورجال الدولة والأثرياء في الانفاق بسخاء على العلم والعلماء وفي إنشاء المدارس، فكانت تلك المدارس بمثابة جامعات يفد إليها الطلاب من كل أرجاء اليمن بل ومن الأقطار المجاورة (العراشي، 2006، ص185).

[illegible] هو السلطان عمر بن علي بن رسول تولى الحكم عام (626هـ/ 1229م) وكان نائبًا للأيوبيين، وأعلن استقلاله عنهم وتأسيس دولة قوية عاصمتها مدينة تعز، وتلقب بالمنصور وقد توفي في 647هـ/ 1259م)، ويعد من أوائل السلاطين الذين اهتموا بالعلم ورعاية العلماء وتشجيعهم على النشر والتأليف، أنشأ العديد من المدارس في المدن الكبرى التي كانت تعتبر نواة النهضة العلمية التي تحققت فيما بعد.

●[illegible] هو المظفر يوسف بن عمر يعد من أعظم سلاطين الدولة الرسولية، حكم من (647هـ 694هـ/ 1249-1295م) وعرف بالقوة والحكمة الإدارية واهتمامه بالعلم والعلماء، وازدهرت الدولة في عهده من الناحية العلمية والاقتصادية، وأنشأ المدارس في زبيد وتعز وعدن، واهتم بتدريس الفقه والحديث والتفسير وله العديد من المؤلفات، وشجع العلماء على التأليف، وكان يرعى العلماء ويقدم لهم الهبات والعطايا، يعد عصره العصر الذهبي للدولة الرسولية. وكان يلقب بالمظفر العالم، وفي عهده ارتحل إلى اليمن العديد من العلماء

ونستطيع القول إن السلطان المظفر هو الذي أرسى دعائم النهضة العلمية في اليمن بعد أن استقرت الأوضاع وعم الأمن ووجدت الدولة المركزية، كما كان الحال بالنسبة للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (ت158هـ/775) الذي يعد المؤسس للنهضة العلمية والفكرية التي انطلقت من بغداد وعمت العالم العربي والإسلامي، وهو "من أوائل الخلفاء العباسيين الذين انبروا لهذا الدور العظيم" (الخزرجي، 1814، ص196).

وأُثر عن السلطان المؤيد داود●● حبه للعلم والعلماء وتضلعه في العلوم الشرعية والعربية والأدب والتاريخ والأنساب (الخزرجي، 1814، ص).وكان شغوفًا بالعلم، مصنفًا بالعديد من العلوم منها: التاريخ والأدب والفقه (الجندي، 1995، ص31). كما أثر عن السلطان المجاهد علي♦ والسلطان الأفضل عباس حبهم للعلم، وقد تلقى السلطان المجاهد العلم على يد أكابر العلماء، واهتم به والده السلطان المؤيد منذ صغره، وعهد به إلى بعض العلماء (الخزرجي، 1814، ص57). وكان السلطان الأفضل عباس أحد المبرزين في النحو والتاريخ والأدب والأنساب (الخزرجي، 1814، ص57). وكان فقيها مشاركًا للعلماء في عدة فنون عارفًا باللغة والأنساب وسير العرب والملوك (الخزرجي، 1814، ص135).

وقد اهتمت الدولة الرسولية وسلاطينها بشكلٍ عام بالعلوم، وكان اهتمامهم أكبر بعلوم القرآن الكريم، وعلوم السنة النبوية، وعلم الفقه والأصول، وعلم الفرائض، وعلم أصول الدين، وعلوم اللغة العربية (النحو، البلاغة وفروعها المختلفة، الأدب وفروعه). واهتموا♦ كذلك بالتاريخ والأنساب والفلك والطب والبيطرة إلى جانب الزراعة (الخزرجي، 1814، ص234)، وقد أشار إلى ذلك المؤرخ المعروف الخزرجي في كتابة العقود اللؤلؤية إذ ذكر " أن السلطان المظفر يوسف لم يقتصر اهتمامه بالعلوم الشرعية فحسب؛ بل كان له اهتمامات بالفلك والطب والصيدلة وغيرها من العلوم" (الخزرجي، 1814،

●● هو داود بن يوسف الرسولي امتد حكمه من (696 الى 721هـ/ 1296 الى 1321م) واتسم عهده بالاستقرار والنهضة العلمية والاقتصادية، وكان أديبًا ومؤرخًا (الخزرجي، العقود، ج1، ص359).

♦ هو المجاهد علي بن داود حكم خلال الفترة (721-764هـ/ 1321-1363م) استمر في دعم المدارس العلمية، ورعاية العلماء من مختلف المذاهب، ووفر الأمن والاستقرار الذي ساعد على استمرار النشاط العلمي خاصة في مدينة زبيد.

♦ يذكرنا هذا الاهتمام الذي لاقاه العلماء في العصر العباسي الأول على يد كثير من الخلفاء العباسيين بدءًا بالخليفة أبو جعفر المنصور مرورًا بهارون الرشيد ثم المأمون الذي يعتبر أكثر الخفاء العباسيين اهتمامًا بالعلم والعلماء.

ص33). وكان يعتبر أن لا خير في السلطان إذا كان في رعيته من هو أعلم منه (سعيد، 1990، ص33).

واشتغل سلاطين الدولة الرسولية بعلم الفلك، وألفوا فيه بعض المؤلفات، كما اعتنوا بالوافدين من العلماء والفلكيين والاستفادة منهم واسناد بعض الوظائف لهم (الجندي، 1995، ص144). حيث استقدم السلطان المؤيد إلى اليمن في (720هـ/ 1320م) الأمير بدر الدين حسن بن أحمد بن المختار، وكان ضليعًا في العلوم الطبيعية خاصة الفلك والهندسة والرياضيات (الخزرجي، 1814، ص354). ومن العلوم التي حظيت باهتمام السلاطين الرسوليين علم الطب الذي برز فيه عدد من العلماء وبلغت الدراسات الطبية بشقيها النظري والتطبيقي درجة عالية تدل على مدى تقدم الطب في تلك الفترة (الحبشي، 1980، ص118).

وهنا قد يبرز تساؤل نصه: لماذا هذا الاهتمام بالعلم والعلماء من سلاطين الدولة الرسولية؟ والجواب يؤكده بعض المؤرخين الذين يرجعون السبب في ذلك إلى حاجة الدولة الرسولية إلى تعزيز شرعيتها السياسية، فشعور السلاطين الرسوليين بعدم انتمائهم لليمن كونهم دخلاء على هذا البلد، دخلوها مع الأيوبيين• عزز ذلك لديهم الحاجة للتمسك بخيار العلم، وبناء شرعيتهم على أسس علمية جعلتهم يهتمون بالعلم ويؤسسون المدارس ويرعون العلماء ويدعمون التأليف والمساهمة في خلق أجيال تهتم بالعلم وتحب السلطة التي اهتمت بالعلم (الحبشي، 1980، ص118).

ويرى الباحث أنه بالإضافة إلى السبب السابق؛ فهناك أسباب أخرى تقف وراء اهتمام الرسوليين بالعلم، مثل: حاجة الدولة إلى بناء القدرات الإدارية والعسكرية التي تحميها من الأطماع الداخلية

[???] تعددت الروايات حول أصل بني رسول بين من يرى أنهم من تركمانية كالمقريزي الذي يؤكد أن أصل بني رسول يعود إلى جدهم رسول بن زيد الذي كان من بلاد التركمان (المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص395)، واكد على ذلك ابن خلدون الذي قال أن أصولهم تعود إلى التركمان وأنهم دخلوا مع الأيوبيين إلى اليمن (ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج5، ص264)، وكذلك قال ابن حجر العسقلاني (العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج2، ص88)، أما من قال بيمنيتهم فمنهم الشرجي الذي قال أن بني رسول يعود أصلهم إلى قبيلة أزد التي خرج جدهم إلى العراق ثم عاد إلى اليمن (الشرجي، طبقات الخواص، ص121)، وايده الجندي الذي قال بأصلهم اليمني (الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج2، ص47)، والخزرجي الذي قال أن بني رسول عرب من الأزد (الخزرجي، العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، ص198)..

والخارجية، فكما هو معروف أن صنعاء وشمالها الى صعدة كثيرًا ما كانت تقع تحت سيطرة الدولة الزيدية التي لم تتوقف أطماعها في التوسع والسيطرة على اليمن كاملًا، بالإضافة إلى ذلك -وفي إطار بسط نفوذها على اليمن فكريًا قبل أن يكون سياسيًا- فقد تبنى الرسوليين المذهب الشافعي في مقابل المذهب الزيدي الذي تبنته الدولة الزيدية، الذي انتشر في المناطق الشمالية من اليمن منذ دخول يحيى بن الحسين إلى اليمن في 286هـ، الأمر الذي يعني بناء المدارس والاهتمام بالعلماء حتى يتعزز سيطرتها الفكرية والسياسية وتحقق نوعًا من التميز على الدولة الزيدية.

أضف إلى ما تقدم حالة الاستقرار السياسي النسبي الذي شهدته اليمن في العصر الرسولي بسبب وجود السلطة المركزية القوية التي أمنت الطرق، ووفرت الحماية لقوافل الحج وشجعت العلماء على السفر والتنقل إلى الأراضي المقدسة، وتحقيق التواصل العلمي والتبادل الفكري، الأمر الذي أدى إلى انتشار المدارس العلمية والمكتبات العامة، وبروز عدد من المدن اليمنية التي أصبحت مراكز للتنوير وبيئات للثقافة، مثل: زبيد، وتعز، وعدن.

ولم يقتصر اهتمام السلاطين الرسوليين بطلب العلم وتشجيع العلماء؛ وإنما كانت لهم مؤلفات في شتى العلوم ليس في الشريعة واللغة فحسب؛ وإنما في علوم أخرى مثل: الحساب والطب والفلك والصيدلة والبيطرة والزراعة وغيرها (العبادي، 1995، ص109). وفي مقدمة السلاطين المؤلفين السلطان المظفر يوسف الذي كان له مؤلفات في الفلك والطب والصيدلة وغيرها من العلوم (العبادي، 1995، ص109).

ولم يكن الأمر مقتصرًا على السلطان المظفر؛ وإنما تحلى معظم السلاطين الرسوليين بالهمة العالية والبصيرة النافذة في التأليف والابداع، وهي ظاهرة فريدة في تاريخ الفكر الإسلامي أن تجد الحاكم– رغم مشاغله السياسية والعسكرية – مهتمًا بالتأليف في مختلف العلوم بما فيها الطب وعلم الأدوية والزراعة، وهو أمر جديد لم تعهده اليمن من قبل (العمري، د ت، ص160). ومن أولئك السلاطين المؤلفين السلطان الأشرف الأول عمر بن يوسف• الذي كان له مؤلفات في عدد من الفنون منها الفلك والبيطرة والطب والزراعة والتاريخ (ابن الديبع، 1979، ص51). ويعد السلطان الأشرف

• هو السلطان الأشرف عمر بن يوسف بن علي بن رسول تولى الحكم خلال الفترة (694-696هـ/ 1295-1997م).

الثاني إسماعيل بن العباس آخر المؤلفين من السلاطين الرسوليين في العلوم (العبادي، 1995، ص112).

هذا الاهتمام يجعل من هؤلاء السلاطين حالة فريدة في تاريخ الملوك والسلاطين، فبرغم الاهتمام الذي أولاه كثير من الخلفاء العباسيين* وخاصة في العصر العباسي الأول، أمثال: المنصور والرشيد والمأمون والواثق وكذلك خلفاء الأندلس، أمثال: الحكم الثاني المستنصر بالله (ت365هـ/ 977م) الذي كان من أشد المعجبين بالعلم والقراءة والاطلاع، رغم كل ذلك إلا أننا لم نلاحظ اهتمامًا بالتأليف، فالمأمون "رغم حبه للعلم واهتمامه بالعلماء ومشاركته في المناظرات العلمية واهتمامه بالعلوم الطبيعية لم ينسب إليه أي مؤلف سوى بعض الرسائل الفلسفية" (الكناني، د ت، ص89). والحكم الثاني المستنصر بالله رغم انه كان عالمًا محبًا للعلم إلا أنه لم يؤثر عن أي مؤلف واحد.

ومن هنا يمكن القول إن الحضارة الإسلامية لم تعرف سلالة حاكمة جمع سلاطينها بين رعاية العلم وأهله من جهة، وبين التأليف من جهة ثانية كما هو الحال لدى السلاطين الرسوليين مع توارث هذه الخصال من سلطان إلى آخر (سعيد، ، ص63). وقد وصفهم أحد الباحثين بالسلاطين العلماء، وكانت رعايتهم للعلم والعلماء نابعة عن دراية وتفطن، وأن ذلك من واجبات السلطان (العبادي، 1995، ص109).

وقد يعود السبب في بروز تلك الظاهرة الفريدة في التاريخ الإسلامي إلى أنه بالإضافة إلى السعي لاكتساب الشرعية السياسية، ومحاولة السيطرة الفكرية على المناطق الخاضعة لحكمهم -كما تم ذكرهما سابقًا- تقف أسباب أخرى أدت إلى ذلك منها: النموذج القدوة الذي أرساه السلطان المظفر واقتفى أثره السلاطين من بعده، والمتمثل في عدم الاقتصار على تشجيع العلماء فقط؛ وإنما المشاركة في التأليف والتصنيف في مختلف العلوم، وقد طبق هذا النموذج من خلال "مؤلفاته في الفلك والطب والصيدلة وغيرها، وله كتاب مشهور بعنوان المعتمد في الأدوية المفردة" (الحبشي، 1980، ص118).

---

* تميز العصر العباسي الأول بوجود الكثير من الخلفاء والأمراء الذين شجعوا الحركة العلمية وهيأوا البيئة الملائمة لازدهار العلوم وتطوير المعارف، فأنشأوا المدارس والمكتبات ودور العلم، وجدوا في البحث عن الكتب والمخطوطات، والحصول عليها من مظانها المختلفة، وتنافسوا في تقدير العلم واجتذاب العلماء (الحاوري، الحضارة الإسلامية في ركب الحضارة الإنسانية، ص18).

هذا النهج الذي سلكة سلاطين بني رسول في حب العلم والرغبة في التأليف في مختلف العلوم والفنون كان له دورٌ فاعلٌ في تحقيق نهضة علمية تعد من أزهى فترات الحضارة الإسلامية في اليمن (الحداد، 1986، ص211). الأمر الذي جعل اليمن من البلدان العربية البارزة علميًا، وقد تجلى ذلك من خلال وفود العلماء من مختلف الأقطار العربية إلى اليمن لطلب العلم والاحتكاك بالعلماء اليمنيين (الجندي، 1995، ص31).

وكما ظهرت أيام الحضارة الاسلامية عدد من المدن التي كانت منارات للعلم ومصابيح للحضارة، ومنتديات لمختلف العلوم يتسابق إليها الطلاب من كل حدب وصوب، ويقصدها العلماء من كل مكان، ويتلهف إليها الباحثون للارتواء من معين معارفها من جميع أصقاع العالم مثل بغداد ودمشق ومرو وبخارى وسمرقند في المشرق العربي، والقاهرة وفاس وقرطبة وطليطلة في المغرب العربي (الحاوري، 2019، ص98)؛ فقد ظهرت عدد من المدن اليمنية مثل زبيد وتعز وعدن التي كانت عواصم علمية ليس لليمنيين فقط، وإنما للعلماء من مختلف الأقطار العربية، ومراكز ثقافية تضم عددًا من المدارس العلمية والمراكز الفكرية والمنتديات الثقافية.

وكما برزت عدد من المدن اليمنية كمراكز علمية؛ فقد برز العديد من العلماء اليمنيين ليس في المجال الشرعي فحسب؛ وإنما في المجالات العلمية وفي مقدمتها الرياضيات والطب والصيدلة، ويبدو أن اهتمام السلاطين الرسوليين بمثل هذه العلوم نابع من دوافع دينية وعلمية، حيث ارتبطت الرياضيات بعلوم الفلك والفلاحة وهي علوم مهمة لتحديد العبادات ورسم المعالم البحرية التي كانت أساسًا للأنشطة البحرية، بينما تم الاهتمام بالطب والصيدلة لارتباطها بحاجات الناس، وتوفير الصحة العامة للمجتمع، وفي نفس الوقت يمثل ذلك الاهتمام رمزًا لمكانة الدولة العلمي، فمثل هذه العلوم دليلًا على التحضر، ناهيك أن مثل هذا الاهتمام يعزز من مكانة اليمن علميًا في محيطها العربي والإسلامي.

ومن أبرز أولئك العلماء محمد بن حسين الحضرمي (ت 650هـ/ 1252م) الذي كان يعقد دروسه الرياضية في مسجده الذي اشتهر به وعنه أخذ عدد كبير من الطلاب، وكانت مؤلفاته من أهم المصادر التي يتم الاعتماد عليها، وقد قصده الطلاب من كل مكان (الجندي، 1995، ص31).

كما برز أيضًا أبو بكر بن عمر بن عثمان الناشري (ت 760هـ/ 1368م) الذي كان من أشهر العلماء اليمنيين في الحساب (الأهدل، ص62). وبرز أيضًا أحمد بن عمر بن هاشم المزيحقي (ت 689هـ/

1281م) الذي كان عالمًا في الرياضيات، ويعد من أوائل اليمنيين الذين ألفوا في هذا المجال، ومن مؤلفاته كتابه " شرح مختصر الخوارزمي في الجبر والمقابلة " وكان من الكتب المعتمدة في تدريس الرياضيات، وله أيضًا كتاب أسماه " جواهر الحساب" وكذلك " مقدمة في علم الحساب" (الجندي، 1995، ص179).

وفي الطب برز العديد من العلماء منهم إبراهيم بن إسماعيل الحضرمي (ت 792هـ/ 1389م) الذي صنف في الطب كتابًا أسماه " فطن الأذهان في طب الأبدان" (الحضرمي، 1985، ص75). وبرز أيضًا عمر بن محمد الجبلي (ت 758هـ/ 1356م) وقد عده بعض المؤرخين بأنه أعلم زمانه بالطب، وقد جلس لتدريس الطب في مدرسته كما اشتهر بمزاولة الطب (الخزرجي، 1981، ص399)، كما برز عدد من العلماء في علوم أخرى منهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الفاسي (ت677هـ/ 1278م) الذي برز في الموسيقى* وألف فيه كتابًا بعنوان " دائرة الطرب"، وكتاب آخر في وضع الألحان، وبرز أيضًا في الطب والتداوي والبيطرة وقد وضع كتابًا في ذلك بعنوان " التبصرة في علم البيطرة" (لخزرجي، 1814، ص178).

وعلى غرار بعض الأسر العلمية التي برزت أثناء النهضة الإسلامية كأسرة ابن زهر في الأندلس التي برزت في الطب ونشأت في القرن الخامس الهجري واستمرت حتى السابع الهجري، وأسرة آل موسى بن شاكر التي تميزت في الرياضيات والفلك فقد " برزت أسر يمنية في الرياضيات والحساب منهم أسرة آل الحضرمي، وأسرة آل الناشري وآل العلوي وآل الشرجي" (العبادي، 1995، ص329). وبرزت أسر يمنية في الطب منها أسرة بنو السابح التي تعد إحدى الأسر العلمية المشتغلة بالطب في تعز وقد أخذ الطلبة عنهم هذا العلم (الجندي، 1995، ص370).

وعمومًا قد يقول قائل: كيف بدأت النهضة العملية في اليمن في العهد الرسولي؟ أو ما هي الروافد التي اعتمدت عليها في تحقيق هذه النهضة؟ وتحب الدراسة أن تشير إلى مجموعة من الروافد التي أسست لهذه النهضة في مقدمتها التواصل العلمي والثقافي الذي كان يتم في موسم الحج والذي شجعه السلاطين الرسوليين خاصة بعد تحسن طرق الحج البرية والبحرية، حيث شكل موسم الحج فرصة كبيرة لتواصل علماء اليمن بعلماء الأقطار الاسلامية، والاطلاع على آخر المؤلفات. إضافة إلى حرص

* هذا الاهتمام بالموسيقى سبقه اهتمام بعض العلماء المسلمين أمثال الفارابي الذي ألف كتابًا أسماه كتاب الموسيقى الكبير، والكندي الذي ألف كتابًا أسماه المدخل إلى صناعة الموسيقى، وأيضًا رسالة في الإيقاع.

السلاطين الرسوليين على استقطاب عدد كبير من العلماء غير اليمنيين المبرزين في العلوم اللغوية والطبيعية، وتشجيعهم على الاستقرار في اليمن وتقديم العطايا والهبات والمناصب، ناهيك عن أيفاد الكثير من الطلبة والعلماء إلى الشام والعراق ومصر للاحتكاك بعلماء تلك البلدان و"جلب الكتب والمؤلفات الجديدة التي ساعدت على تكوين نهضة علمية ومعرفية كبيرة" (عباس، 2010، ص74).

ومن المفارقات العجيبة أنه بينما كانت النهضة العلمية في العالم العربي والإسلامي في حالة انحسار وتراجع بعد سيطرة المغول على الخلافة العباسية وسقوط بغداد في (656هـ)، وقتل الكثير من العلماء، وتدمير عدد من المراكز العلمية وبيوت الحكمة، ناهيك عن ملايين الكتب التي تم إحراقها ورميها في نهري دجلة والفرات حتى تغير لونهما، إذا بالنهضة العلمية في اليمن تشرق شمسها، وربما كان سقوط بغداد وتراجع الدور الحضاري لها كان أحد الأسباب التي دفعت السلاطين الرسوليين إلى تبني النهج العلمي، ومواصلة الدور الذي قامت به الخلافة العباسية في الاهتمام بالعلم والعلماء، فكما انتقلت الراية السياسية إلى القاهرة وإسطنبول بعد سقوط بغداد ها هي تنتقل الراية العلمية إلى اليمن خاصة وأن الدولة الرسولية توسعت وامتد نفوذها إلى الحجاز وظلت مسيطرة على مكة قرابة الخمسين عامًا بدءًا من 631هـ

وفي نفس الوقت قد يقول قائل بينما كانت الحضارة الإسلامية تشهد ازدهارًا علميًا وفكريًا خلال القرن الثاني وحتى السابع الهجري -وإن بنسب متفاوتة بين القرون- لماذا لم يكن لليمن أي دور في هذه النهضة؟ ولماذا لم يبرز من اليمن علماء أمثال الكندي والرازي والفارابي وابن سينا والغزالي والبيروني والخوارزمي وجابر بن حيان وغيرهم؟ وقد يعود السبب في ذلك إلى كثير من التحديات والصراعات التي مرتب بها اليمن، فاليمن كان هدفًا للثورات العلوية، ومطامع السيطرة على اليمن بدأت منذ القرن الثاني الهجري، وتم تحقيق هذه الأطماع في عام 286هـ على يد يحي بن الحسين الملقب بالإمام الهادي الذي أسس دولته في صعدة ثم توسع حتى وصل إلى صنعاء، وتوالت الحروب والصراعات في اليمن للسيطرة على الحكم سواءً من الأئمة الزيديين أو الدول المختلفة*، إضافة إلى ما تقدم فبعد اليمن عن

* تعاقبت على حكم اليمن عدد من الدول من أهمها: الدولة اليعفرية (205-387هـ/ 820-997م)، وكان عاصمتها صنعاء، والدولة الزيدية (284هـ) الذي أسسها يحي بن الحسين في صعدة وشمال اليمن، والدولة الصليحية (439-532هـ/ 1047-1138م)، وكان عاصمتها صنعاء، والدولة الزريعية (470-569هـ/ 1078-1173م)، وكان عاصمتها عدن،

مراكز الحضارة الاسلامية التي نشأت في بغداد ودمشق وبخارى وسمرقند شرقًا، والقاهرة وفاس وقرطبة غربًا لم توفر له أي فرصة للتواصل والاحتكاك العلمي مما جعل اليمن تعيش في عزلة علمية وثقافية طويلة.

ومجمل القول؛ يرى الباحث أنه لولا أن النهضة العلمية في اليمن في عصر الدولة الرسولية جاءت في فترة انحسار النهضة الإسلامية في المشرق والمغرب، وتراجع الحس العلمي والحضاري بعد سيطرة المغول على بغداد والشام، ودخول كثير من البلدان العربية والإسلامية في صراعات وحروب، لولا ذلك فإنه كان سيكون للنهضة العلمية في اليمن شأن أكبر مما حصلت عليه.

المحور الثاني. دور الدولة الرسولية في تشجيع عملية التواصل العلمي في موسم الحج:

يعدّ موسم الحج من أهم المواسم التي يجتمع فيه العلماء من كل مكان، حاملا معه فرصة التواصل الحضاري والتبادل العلمي، وتطوير العلوم، والاستفادة مما لدى كل واحد منهم، ناهيك عن المناظرات العلمية والنقاشات الفكرية وتبادل المؤلفات والمخطوطات التي كانت تتم في هذا الموسم، وقد أدرك السلاطين الرسوليين هذه الفرصة ولم يغفلوا هذه المناسبة في تعزيز التواصل العلمي بين العلماء خاصة أن وسائل العلم في ذلك العصر كانت محدودة فحرصوا على تشجيع العلماء على المشاركة في هذا الموسم، ودعموا رحلاتهم بالمال والعتاد الأمر الذي أدى إلى تطوير النهضة العلمية في اليمن. وتحقيق الازدهار الفكري.

وكان للدولة الرسولية دور بارز في تشجيع عملية التواصل العلمي في موسم الحج بدءًا من ترأس السلاطين لقافلة الحج، أو تعيين أشخاص أصحاب مكانة علمية لرئاستها (الحارثي، 2023، ص32)([1]). ومن أولئك العلماء الذين ترأسوا قافلة الحج أحمد بن موسى العجيل (ت 690هـ/ 1291م)، والعلامة عمر بن الأكسع([2]) وقد كان لهذه الإمارة الأثر الكبير في تبادل العلوم والمعارف بين علماء اليمن وعلماء الحجاز والعالم الإسلامي (الحارثي، 2010، ص32). وقد شكل المحمل جانبًا مهمًا في قوافل الركب

والدولة الهمدانية الحاتمية (403-554هـ/ 1012-1159م) واتخذت من صنعاء عاصمة لها، والدولة الأيوبية (569-626هـ/ 1173-1229م) وكانت تعز هي العاصمة السياسية.

[1]- وثيقة من الأرشيف العثماني برقم (15242)، م3-35/14، ف، ت، محفوظة بالمركز الوطني للوثائق، صنعاء، اليمن.

[2] - هو أبو حفص عمر الأكسع فقيه مشهور وكان يقود قافلة حجاج اليمن

اليمنية منذ عهد الدولة الرسولية التي بالغت الاهتمام به وجعلته من متطلبات القافلة (الشامي، د ت). وأثناء سير قافلة الحج كانت تتم بعض المناظرات العلمية بين العلماء، منها المناظرة التي عقدت بين الشيخ أبي بكر بن الفقيه بن عجيل (ت750هـ/ 1349م) والشيخ عمر البركاني، وكذا المناظرة بين أبي عبد الله محمد بن ظفر الشميري (ت13م) وأبي العباس المقري وقد اكتسبت تلك المناظرات شهرة واسعة وتأثير ثقافي كبير (الشرجبي، 2023، ص301).

وتعزيزًا لعملية التواصل العلمي؛ فقد بني سلاطين الدولة الرسولية العديد من المدارس والمراكز العلمية في مكة والمدينة، وهو ما شجع العلماء والطلبة على الرحلة إلى هذه الأماكن للتزود بالعلم والتواصل مع العلماء من مختلف البلاد الإسلامية (السنيدي، 2005، ص19). كما أوفد السلاطين الرسوليين طلاب العلم والعلماء لتلقي العلم في مكة والمدينة التي كان لهما تأثير فكري متميز على اليمن لموقعهما الديني من ناحية وقربهما الجغرافي من ناحية أخرى (حماد، 2004، ص558).

وقدم السلاطين الرسوليين الهبات والعطايا وكل أنواع الدعم الذي لم يقتصر على العلماء اليمنيين؛ وإنما شمل علماء الأقطار الإسلامية، إذ اعتاد من حج من أولئك السلاطين أن يوزع الهبات في الحرم، ومن ذلك ما ناله الفقيه بهاء الدين علي بن هبة الله اللخمي المعروف بابن الجميزي (ت 649هـ/ 1251م) من صلة وهبة في موسم الحج (ابن تغري بردي، 1993، ص24). كما انتهج السلاطين أسلوب الاستقطاب والتقريب والتعيين للعلماء المبرزين من مختلف البلاد العربية والإسلامية، حيث استدعى السلطان المظفر شيخ الحجاز محب الدين أبو العباس الطبري (ت694هـ/ 1294م) للإقامة في اليمن، وقد استجاب لدعوته وصنف في علوم عديدة منها الحديث الذي صنف فيه كتابًا أسماه "الأحكام الكبرى" في ست مجلدات، كما صنف في الفقه كتاب "شرح التنبيه"، وقد حظي بمكانة سامية لدى المظفر الذي قربه إليه وأدناه منه منزله وأجزل له العطايا (ابن قاص، 1987، ص18). كما استدعى السلطان المؤيد الفقيه محمد بن عبد الله البغدادي الذي قدم إلى مكة شابًا وسمع على العديد من علمائها ثم ارتحل إلى اليمن في (708هـ) وأجزل له السلطان العطايا ورفع منزلته (الفاسي، 1969، ص75).

وارتحل إلى اليمن بعد أداء فريضة الحج عام (742هـ/1341م) صحبة السلطان المجاهد الفقيه شمس الدين محمد بن أحمد بن صقر الدمشقي الذي حج بيت الله الحرام والتقى بعلمائه وولاه السلطان المجاهد القضاء الأكبر، وجعله من خواصه وأهل حضرته، وبقي على القضاء فترة في عهده وطوال عهد

ولده الأفضل وصدرًا من عهد الأشرف الثاني (البريهي، د ت، ص188).

واستدعى الأشرف الثاني النحوي المصري عبد اللطيف بن أبي بكر بن أحمد الشرجي سراج الدين (ت802هـ/ 1399م) وكان بارعًا في العربية شيخ نحاة مصر وإمامهم في عصره، الذي قدم مكة للحج والتقى بعلماء اليمن ثم ارتحل إليها وأقام بزبيد وذاع صيته وصنف عدة مصنفات في النحو والفلك وغيرها (القاضي، 1971، ص169). واستدعى الأشرف الثاني كذلك غياث الدين أبو عبد الله محمد بن خضر الكابلي (ت794هـ/ 1391م) من كابول الذي كان فقيهًا ونحويًا ولغويًا شمولي المعرفة، متقنًا للمنطق وعلم المعاني والبيان وغيرها من العلوم، وقد قصد مكة لأداء فريضة الحج، ثم ارتحل إلى عدن ثم زبيد بعد أن استدعاه الأشرف الذي أكرمه وأجزل له العطايا (بامخرمة، د ت، ص214).

كما استدعى الأشرف الثاني العالم اللغوي المعروف مجد الدين الشيرازي الفيروز أبادي (ت817هـ/ 1414م) وكان إمام عصره في النحو والعربية والحديث، الذي ارتحل إلى الحجاز والتقى بالعلماء من كل البلاد الإسلامية واشتهرت تصنيفاته، وقد وفد إلى اليمن في (796هـ/ 1393م) وعينه الأشرف الثاني في منصب قاضي القضاة باليمن، وقد حظي بمكانة مرموقة في البلاط الأشرفي، ونال مكانة عظيمة في اليمن (البريهي، د.ت، ص296). واستدعى السلطان الناصر أحمد[•] الفقيه حسان الدين الحسن بن علي الأبيوري (ت 816هـ/ 1413م) من خراسان الذي قصد مكة للحج ودرس بها صحيح مسلم، كما درس علم الرياضيات وصنف في ذلك تصنيفات كثيرة، وكان يتردد على مكة لأداء فريضة الحج، ويلتقي بعلماء اليمن، وارتحل إليها في (815هـ)، ودخل مدينة زبيد ثم انتقل إلى مدينة تعز وأكرمه السلطان الناصر وأوكل إليه تدريس العلوم التطبيقية في بعض مدارس تعز (الفاسي، 1969، ص19).

كما استقطب السلطان الناصر جمال الدين أبو البركات محمد بن موسى بن علي المراكشي الذي كان عالمًا في الحديث وصنف فيه عدة مصنفات، وظهرت مهاراته في العلوم الشرعية وقد أعجب به الناصر فمال إليه وأكرمه وكان يخرج إلى الحج ويقيم في مكة والمدينة، ويقبل عليه طلاب العلم للاستفادة منه وتوفي في مكة أثناء إحدى حجاته عام (833هـ/ 1420م)(الفاسي، 1969، ص364).

[•] هو الناصر أحمد بن علي حكم خلال الفترة (803-827هـ/ 1400-1424م) وقد واصل الاهتمام بالعلم والعلماء والحفاظ على المدارس والمراكز العلمية، ودعم حلقات العلم في تعز وزبيد، يجل العلماء ويستشيرهم في كثير من الأمور وخاصة الكبيرة منها.

المحور الثالث. دور الحج في تعزيز التواصل العلمي في عصر الدولة الرسولية:

مثل الحج فرصة كبيرة للتواصل الفكري والعلمي بين العلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي وكانت الحجاز ميدانًا للعلماء من شتى الأقطار اتيحت فيه الفرصة للاستفادة من بعض، والاطلاع على كل جديد من المعارف والأفكار والعلوم والكتب، وقد ارتبط موسم الحج بالعلم والثقافة ونتج عنه آثار علمية أيقظت حركة الفكر والثقافة في العالم الإسلامي. وازدهرت الحركة العلمية والثقافية على يد العلماء أثناء مواسم الحج، وكانت مكة بمثابة تجمع علمي يضم العلماء من كل الأقطار العربية والإسلامية.

ونتيجة لأهمية موسم الحج كجسر للتواصل العلمي؛ فقد تم إنشاء المراكز الفكرية، وبناء المدارس والأربطة العلمية، بل وتخصيص الأوقاف السخية لاستمرار عمل تلك المراكز والمدارس والأربطة (الحارثي، 2023، ص33) وكان العلماء والأدباء والمؤرخون يقصدون مكة المكرمة والمدينة المنورة لا لأداء فريضة الحج فقط؛ وإنما لنشر ما لديهم من علوم ومعارف، وكانوا رسل علم وحملة ثقافة ودعاة معرفة، وقد أثر عن بعضهم كتب دونت ما كان يطرح منها من مسائل العلم وقضايا الأدب واللغة والفقه (الحقيل، 2023، ص6). وقد كان لموسم الحج مساهمات كبيرة في بناء الكيان العلمي والحضاري لليمن، إذ عاد الكثير منهم بالمصنفات العلمية المفيدة التي اقتنوها في شتى مجالات العلم.

وشكل الحج مناسبة مهمة للإعلان عن آخر المؤلفات العلمية، والنتاجات الفكرية التي دونت في البلاد الإسلامية في مختلف المجالات (هديل، 2011، ص288). وقد اتيح لعلماء اليمن الفرصة لنشر علومهم وإبراز معارفهم، والمشاركة بمؤلفاتهم القيمة في مختلف المجالات، الأمر الذي ساهم في انتشار أسواق الكتب ومكاتب النساخين.

وكان العلماء يصطحبون معهم بعض الكتب لبيعها في أسواق الكتب أو إهدائها لعلماء مكة والمدينة (الجابري، 2005، ص585). واهتم بعض العلماء بتوثيق كتبه ومصنفاته في مكتبة الحرمين الشريفين منهم الشيخ برهان الدين إبراهيم بن رجب التلمساني (ت755هـ/ 1356م) الذي كانت له كتب نفيسة في الأصول والحديث والفقه واللغة وقد أوقفها بمكتبة الحرم الشريف (ابن فرحون، 1977، ص156). وكان سوق الكتب في مكة والمدينة فرصة لتبادل الأفكار والتواصل بين مختلف فئات المجتمع من علماء ومتعلمين، بل صار منتدى للعلماء والأدباء والمفكرين تدور فيه المناقشات العلمية والمناظرات الفكرية (الجابري، 2005، ص286). وقد تعددت أماكن بيع الكتب وشرائها في أكثر من مكان بمكة

المكرمة حيث أشار الرحالة ابن بطوطة إلى وجود مساطب بالمسجد الحرام يجلس عليها النساخون (ابن بطوطة، 1985، ص132).

ومن هنا يمكن القول، إن أسواق الكتب قد أسهمت بشكلٍ فعال في إثراء الحركة العلمية من خلال ارتياد العلماء وطلبة العلم ومبعوثي السلاطين والملوك والأمراء لهذه الأسواق، واقتناء كل جديد من المصنفات وبأغلى الأثمان (الحادثي، ص34). الأمر الذي أدى إلى ازدهار حركة التأليف والنسخ والوراقة والتنافس في شراء المؤلفات الضخمة لكبار العلماء والمؤلفين (السنيدي، 2006، ص159).

ولما تتمتع به مكة والمدينة من ازدهار علمي وفكري، وحرصًا من بعض العلماء اليمنيين على توسيع عملية التواصل العلمي والتزود من مختلف العلوم والمعارف؛ فقد جاوروا* هاتين المدينتين لكي يتمكنوا من اللقاء بعلماء المشرق والمغرب في مواسم الحج والعمرة، و"حضور الاجتماعات والمناقشات العلمية وتبادل الأفكار والآراء في مختلف القضايا، وهي أيضًا فرصة لنشر علومهم وإبراز ما لديهم من معارف" (آل مشاري، 1988، ص47).

وقد أسهم العلماء المجاورين في إثراء الحياة العلمية والفكرية، والتفاعل مع العلماء الوافدين على الحرمين الشريفين أخذًا وسماعًا وتأليفًا وتصنيفًا (قويدر، 2023، ص363). وشاركوا إلقاء الدروس في المسجد الحرام والمسجد النبوي، وكانت تعقد لهم مجالس علمية وحلقات فكرية، وقد أجيزت هذه الحلقات من قبل السلاطين الرسوليين، وخصصوا لها الأوقاف الكافية حتى أصبح الحرمين الشريفين يمثل جامعتين تستقطبان كبار العلماء والطلاب من مختلف البلدان العربية والإسلامية (آل مشاري، 1988، ص 114-115).

---

* من العلماء اليمنيين الذين جاوروا مكة والمدينة بطال الركبي (ت673هـ/ 1235م) الذي جاور مكة أربعة عشر عاما، ومنهم أبو الحسن علي بن عبد الله الهمداني (ت 712هـ/ 1313م) والعلامة عبد الله بن علوي (ت731هـ/ 1230م) الذي لقب بإمام الحرمين، بالإضافة إلى علي بن علوي (ت767هـ/ 1268م) والعلامة عبد الله محمد الخطيب (ت773هـ/ 1336م) (الجندي، السلوك، ص179)، ومنهم العلامة محمد بن حجاج بن إبراهيم الذي حج سنة (653هـ/ 1255م) ومنهم عفيف الدين اليافعي (ت768هـ/ 1366م)، ومنهم الفقيه التعكري محمد بن عمر الذي جاور مكة واستقر بها حتى توفي في (780هـ/ 1378م)، ومنهم محمد بن عبد الله البعداني (ت810هـ/ 1407م) الذي جاور الحرمين نحو ثلاثون عامًا، ومنهم أبو زيد علي الزبيدي (ت813هـ/ 1410) (الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ج7، ص103).

ونظرًا للمكانة العلمية التي تبوأها بعض العلماء اليمنيين المجاورين فقد تم تقليدهم بعض الوظائف المهمة، مثل: منصب القضاء في الحرمين الشريفين، ومنصب مشيخة الخدام، والخطابة وإمامة الحرمين، وتقلد البعض منهم منصب ناظر المدارس التي انشأها ملوك بني رسول في مكة (آل مشاري، 1988، ص111).

وحرصًا من بعض العلماء اليمنيين على تعميق عملية التواصل العلمي؛ فقد حصلوا على إجازات علمية من العلماء العرب والمسلمين، من أولئك الفقيه محمد بن سلمان أبو الرجال ([1])● الذي أجازه الشيخ أحمد بن إبراهيم الفاروثي●• وذلك في موسم حج سنة (688هـ/ 1288) (الشوكاني، ص200). كما أجاز الشيخ برهان الإبناسي([2])● القاضي أبا بكر بن محمد الحبشي (ت 800هـ/ 1413م) إجازة عامة وذلك في موسم حج سنة (771هـ/ 1369)، وأجاز للفقيه الحسين بن الصديق بن الأهدل في موسم حج سنة (772هـ/ 1370م) (الاهدل، ، ص559).

وأجاز شيخ الحرم المكي أبو العباس أحمد بن محمد الطبري●• السلطان المؤيد في البخاري والترمذي وناوله صحيح مسلم وأجازه في باقي أمهات الكتب (الحبشي، 1980، ص639)، كما أجاز شيخ الحرمين عبد الله بن أحمد الهروي العلامة أبي الخير أيوب بن محمد كديش (الجندي، 1995، ص237). وفي موسم حج (801هـ/ 1398م) أجيز للقاضي محمد بن سعيد بن كبن (ت ق9هـ/ 15م) من قبل سراج الدين بن

---

[1] هو أحد فقهاء اليمن أخذ علومه عن الأمير المؤيد بن أحمد القاضي عبد الله الأكوع، وقد توفي في 730هـ/ 1321م (البدر الطالع، ص200).

●??? هو أحمد بن إبراهيم بن عمر بن الفرح الواسطي المقري ولدي سنة (614هـ/ 1217م)، وتوفي في مواسط (694هـ/ 1294م)، له عدة مؤلفات منها النفخة المسكية والإرشاد المتيقن (ابن كثير، البداية، ص215).

[2] هو إبراهيم بن موسى بن أيوب الإبناسي، عالم وفقيه ولد في إبناس من أعمال القاهرة له العديد من المؤلفات منها: الدرر المضيئة في شرح الألفية وقد توفي في (806هـ/ 1413م).

●??? هو أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم محب الدين الطبري، ولد بمكة عام (703هـ/ 1304م) ونشأ فيها، وأخذ العلم على علمائها وتم تعيينه قاضيها ؟؟ بن المجاهد الرسولي علي بن المؤيد (الفاسي، ؟ اليمن، ج3، ص161).

النحوي[••]، كما أجاز عدد من علماء الحرم للفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الرحمن[♦] (البريهي، د ت، ص30).

ولم تقتصر مجاورة الحرمين الشريفين على علماء اليمن؛ وإنما جاورها العلماء من مختلف البلاد العربية والإسلامية، وكانت تعقد لهم حلقات علمية في أماكن متفرقة من مكة المكرمة، وقد جذبت هذه الحلقات عددًا كبيرًا من الطلبة والعلماء، ومن أبرز أولئك العلماء عبد الله بن موسى الزاوي المقري (ت734هـ/ 1337م) الذي رحل إلى الحج في (690هـ/ 1289م) وجاور مكة عدة سنوات (ابن مرزوق، 2008، ص246).

ويؤكد بعض الباحثين أن أغلب المجاورين من أهل المغرب في القرنين الثامن والتاسع الهجريين قد أسهموا بشكل كبير في ازدهار الحياة العلمية والفكرية من خلال اشتغالهم بالتعليم وترأسهم للدروس العلمية سواءً في فناء المسجد الحرام والمدارس المشهورة، أو في الأربطة المتواجدة في أماكن متفرقة من مكة المكرمة، وتتويج تلاميذهم بالإجازات العلمية، ورفد مكتبة الحرمين الشريفين بمصنفاتهم النفيسة ونتاجهم الفكري القيم (مرزوق وشعباني، ص 607).

وعمومًا أنتج العلماء المجاورون – يمنيين وغير يمنيين - العديد من المؤلفات في مختلف العلوم، وكان لبعضهم الفضل في تدوين تاريخ الحجاز وتاريخ اليمن، ومن أولئك العلماء الذين تصدروا لهذه المهمة تقي الدين أحمد المقريزي (ت845هـ/ 1441م) الذي صنف عدة كتب منها كتاب " الطرف الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة" (السخاوي، د ت، ص57). ولعل أهم ما يميز الحركة العلمية بالحرمين الشريفين هو تنوع العلوم فلم تقتصر على العلوم النقلية من قرآن وتفسير وحديث ولغة وفقه وتاريخ؛ وإنما تجاوزت ذلك إلى العلوم العقلية مثل: الرياضيات والطب والفلك والجغرافيا وغيرها من العلوم (المديرس، 2003، ص247).

ونظرًا لأن موسم الحج لم يمثل لبعض العلماء العرب والمسلمين إلا نقطة البداية، وسعيًا منهم

[••] هو سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني المصري، كان نحويًا لغويًا ولد في (724هـ/ 1323م) وتوفي في (805هـ/ 1402م) (الزركلي، ص505).

[♦] هو المحدث والمحقق والفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عمر، من علماء منطقة مخلاف جعفر في وصاب العالي، له العديد من المصنفات وتوفي في (822هـ/ 1419م) (البريهي، ص22).

لاستدامة عملية التواصل العلمي؛ فقد كانوا بمجرد الانتهاء من الحج يتوجهون إلى اليمن لعقد لقاءات علمية مع علماء اليمن، وأخذ الإجازات العلمية منهم. ويبدو أن هجرة كثير من العلماء العرب والمسلمين إلى اليمن كان أمرًا طبيعيًا نتيجة لما شهدته اليمن من نهضة علمية وازدهار فكري في عصر الدولة الرسولية، وما اشتهر عن السلاطين الرسوليين من إكرام للعلماء والفقهاء.

ومن أولئك العلماء الذين هاجروا إلى اليمن بعد الانتهاء من فريضة الحج الفقيه محمد بن غانم القرشي الذي توفي بزبيد في (790هـ/ 1388م)، والفقيه محمد بن علي البيضاوي المكي الذي استقر به المقام في اليمن حتى توفي بزبيد في (ت837هـ/ 1433م)، وأحمد بن الفخر العجمي الذي استقر في عدن ومات فيها (الفاسي، 1969، ص38).

المحور الرابع. العلماء الذين ساهموا في عملية التواصل العلمي في موسم الحج عصر الدولة الرسولية:

برز العديد من العلماء اليمنيين وغير اليمنيين الذين كان لهم دور مهم في عملية التواصل العلمي والاحتكاك الثقافي، وكان موسم الحج بالنسبة لهم فرصة عظيمة للقاء ببعض وتبادل الأفكار والمعارف، والنقاش في مختلف العلوم، والاستفادة مما جادت به قرائهم من علوم وما تفتقت به عقولهم من مؤلفات ونتاجات.

من أبرز أولئك العلماء اليمنيين الذين ساهموا في عملية التواصل العلمي الفقيه عبد الرحمن بن سيد العقيبي الهمداني (ت690هـ/ 1291م)، وقد اتصف بكثرة الحج والاهتمام بجمع المؤلفات الحديثة التي يعلن عنها سنويًا في موسم الحج (الجندي، 1995، ص243). ومنهم الفقيه أبو بكر اليحوي (ت709هـ/ 1309م) الذي كان يستغل موسم الحج في الاطلاع على الجديد من الكتب ونسخها وإدخالها إلى اليمن (الخزرجي، 1814، ص389).

ومنهم حسن بن محمد بن أسيد اليمني (ت727هـ/ 1326م)، وعمر بن محمد المسجدي (ت740هـ/ 1339م)، وموفق بن عبد الله البركاني (ت784هـ/ 1382م)، والقاضي عبد اللطيف بن محمد بن علي الزبيدي (ت800هـ/ 1397م) وكذلك إسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحمن العلوي (ت835هـ/ 1431م) وغيرهم الكثير (الفاسي، 1969، ص175).

كما ارتحل الأديب والمؤرخ عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت 743هـ/ 1342م) إلى مكة لأداء فريضة الحج، وجالس العلماء وأخذ عنهم وأخذوا عنه، ثم عاد إلى اليمن وتولى التدريس في بعض

المدارس، وأخذ عنه العلم عدد كبير من الطلبة والسلاطين منهم السلطان المجاهد (الجندي، 1995، ص576). ومن العلماء كذلك عبد الله بن محمد البريهي• الذي ما إن يقترب من مكة المكرمة والمدينة المنورة حتى يخرج له فقهاء الحجاز وغيرهم من العلماء لمقابلته والانتفاع بعلمه (الخزرجي، 1814، ص1368). ومن العلماء أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي (ت768هـ/ 1374م) الملقب بعفيف الدين الذي ارتحل إلى مكة وتلقى العلم على شيوخها ولازم العلماء، وكان يتردد على مكة والمدينة للحج وأخذ العلم من العلماء، وقد انقطع بمكة للتصنيف والتدريس، فصنف في العديد من العلوم منها: النحو والعروض والتاريخ، وله كتب كثيرة منها: " روض الرياحين" وكتاب " مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة حوادث الزمان (حماد، 2004، ص566).

واستمرت وفود العلماء اليمنيين لأداء مناسك الحج وتلقي العلم في الحرمين الشريفين، منهم الفقيه أبو بكر محمد بن سلامة●• الذي أخذ عن العلماء الوافدين في موسم الحج المجاورين لها (الشرجبي، 2023، ص389). وكان الفقيه أبو أحمد موسى بن عجيل●●• كثير التردد على مكة المكرمة في موسم الحج، وكان يجتمع بعلمائها ويتبادل المعارف (الشرجبي، 2023، ص194). وارتحل الفقيه محمد بن أبي بكر المشهور بابن الخياط التعزي (839هـ/ 1435م) إلى مكة والمدينة المنورة، والتقى بعدد من العلماء والمشائخ وحصل على إجازات منهم، ثم عاد إلى اليمن، وكان مجلسه حافلًا بالعلماء والمتعلمين (السخاوي، د ت، ص228). ورحل الفقيه عبد الولي بن محمد بن عبد الله الوحصي (ت 839هـ/ 1435م) إلى مكة والمدينة في موسم الحج وأخذ عن العلماء المجاورين، وحصل على إجازات علمية منهم (السخاوي، د ت، ص96).

ومن أولئك العلماء الذين ساهموا في عملية التواصل العلمي، العلامة أبو بكر بن محمد بن عمران•،

[???] هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر البريهي السكسي صاحب قرية ذي سفال فقيها وعالميًا ومتفننًا في مختلف أنواع العلوم وخاصة الحديث والتفسير واللغة والنحو وتوفي في (764هـ/ 1362م).

●[???] هو محمد بن سلامة كان فقيها عالمًا زاهدًا متواضعًا غلبت عليه العبادة والنسك وتوفي في (ق8هـ/ 14م).

●●[???] هو الفقيه أبو أحمد موسى بن علي بن عمر بن عجيل بن مسرة ذاع صيته بالعلم والفقه، ويعد من أشهر علماء وفقهاء عصره حتى لقب بالشافعي الصغير، وقد توفي في (ق8هـ/ 14م) ولم يتجاوز عمره الثلاثون (الشرجي، ص343).

•[???] هو أحد علماء وفقهاء بني عمران ويعد من أشهر علماء الحساب والادب وقد توفي في ق 8هـ/ 14م (الشرجي، ص384).

والعلامة محمد بن سعيد بن كبن• والعلامة العباس أحمد الشرجي••• الذي حج بيت الله الحرام سنة (835هـ/ 1431م) وتلقى العلم على يد علماء مكة (الشرجبي، 2023، ص8)، ومنهم الفقيه حسن بن محمد بن سعيد الشظبي (ت835هـ/ 1431م) الذي ارتحل إلى مكة والمدينة في موسم الحج وأخذ عن علمائها وحصل على إجازات منهم (السخاوي، د ت، ص143). ومنهم صالح بن قاسم المرادي (ت902هـ/ 1496م) الذي كان من علماء آخر العصر الرسولي، وارتحل إلى مكة مؤديًا لفريضة الحج واستغل الفرصة للاحتكاك بعلمائها، والنهل من معارفهم (السخاوي، د ت، ص314). ومنهم حمزة بن محمد البجائي (ت902هـ/ 1498م) الذي قصد مكة للحج أكثر من مرة، وكان يُدَرِس الطلبة علم المنطق واللغة والصرف وعلم المعاني (الحفناوي، 1906، ص140).

وفي الجانب الآخر من عملية التواصل العلمي؛ فهناك عدد من العلماء العرب والمسلمين الذين كان لهم دور بارز في تعزيز التواصل العلمي منهم: أبو عبد الله محمد القلعي (ت630هـ/ 1232م) وهو من مدينة حلب، وكان له تصانيف مشهورة في شتى العلوم منها مؤلفاته في الجبر والفرائض، وفي علم السياسة وفي القضاء، وقد خرج إلى الحج وجلس للتدريس بمكة وانتفع بعلمه كثير من الناس (الخزرجي، 1814، ص65). ومنهم الإمام أبو الفضائل الحسن بن محمد الصفاني (ت660هـ/ 1266م) من بغداد، جاور الحرمين الشريفين وكان عالمًا في النحو واللغة والأدب والمواريث، وله مصنفات كثيرة منها كتاب التكملة، والذيل والصلة، وكتاب الفرائض، وكتاب آخر في الوفيات (حماد، 2004، ص576).

ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي بن عطية المكناسي من قبيلة مكناس المغربية حج إلى بيت الله والتقى بعدد من العلماء اليمنيين (الفاسي، 1979، ص150). ومنهم إسحاق بن أبي بكر الطبري (ت670هـ) الذي التقى بعلماء اليمن ثم ارتحل إليها واستوطن زبيد وحظي بمكانة سامية بين قضاة اليمن (الفاسي، 1979، ص291). ومنهم الشيخ أبو الخطاب عمر بن عبد الرحمن القُدسي (ت688هـ/

• هو العلامة القاضي الفقيه المحدث الأصولي المتكلم محمد بن سعيد، تفقه على يد علماء زبيد، وأصبح بعد ذلك من قضاة عدن وتوفي في (ق9هـ/ 15م).

•• هو العلامة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي، أحد علماء زبيد ومن أشهر محدثيها وأدباءها ولد سنة (812هـ/ 1407م) في زبيد وله العديد من المصنفات من أشهرها طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص وقد توفي في (893هـ/ 1487م).

1289م) من مدينة القدس ارتحل إلى مكة لأداء فريضة الحج، والتقى بعلماء اليمن ثم ارتحل إليها لتلقي العلم (الخزرجي، 1814، ص213).

ومنهم أبو عبد الله محمد الكاشغري من بلاد الترك قدم إلى مكة، والتقى بعلماء اليمن ثم ارتحل إليها وكان عالمًا في النحو واللغة والتفسير (الخزرجي، 1814، 303). ومنهم اللغوي محمد بن حجاج الحضرمي المعروف بابن مطرف الاشبيلي (ت 706هـ/ 1306م) الذي قدم حاجًا إلى مكة والتقى بالعلماء، ثم ارتحل إلى مدينة عدن لتدريس اللغة وعلومها (الفاسي، 1979، ص452).

ومنهم صفي الدين أبو عبد الله محمد الهندي (ت 715هـ/ 1315م) الذي ولد بالهند ثم خرج لأداء فريضة الحج في عام (667هـ)، وجاور بها ثلاثة أشهر ثم دخل اليمن ودَرسَ في بعض مراكزها واشتهر شهرة كبيرة بلغت الملك المظفر الذي أكرمه وأجزل له العطايا (الأسنوي، 1987، ص302).

ومن علماء المغرب العربي الشيخ محمد بن عمر الوهراني (751-843هـ) الذي اشتهرت به مدينة وهران حتى اليوم، وقد شد الرحال إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج واتصل بالعلماء المجاورين من كل البلاد الإسلامية وأخذ عنهم العلم (التلمساني، 2009، ص42-43). ومنهم محمد بن مرزوق التلمساني الخطيب (ت781هـ/ 1380م) الذي يعد من أبرز أعلام المغرب الأوسط خلال القرن الثامن الهجري، وقد حرص على تنويع مناهله والتزود بالعلم في مختلف العلوم (ابن مرزوق، 2008، ص246).

وارتحل الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد التازي للحج في (830هـ/ 1426م) ثم تفرغ للعلم ومجالسة العلماء، والأخذ عنهم والتتلمذ على يد كبار العلماء منهم: أبو الفتح محمد بن بكر القرشي (التلمساني، 2009، ص139). ومنهم الأديب النحوي محمد بن أبي بكر الدماميني (ت828هـ/ 1424م)، وابن الجزري (ت833هـ/ 1429م) (العبادي، 1995، ص133).

وارتحل الإمام المحدث شهاب الدين أحمد بن عمر الأنصاري الشاذلي المصري إلى مكة لأداء فريضة الحج، وأقام بها مجلسًا للعلم وعكف عليه طلبة العلم وتوفي في (820هـ/ 1417م) (البريهي، د ت، ص241). وارتحل كذلك شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني (ت852هـ/ 1448م) إلى مكة وجاورها فترة، والتقى بعلماء اليمن ثم رحل إليها واشتغل بالتصنيف واجتمع إليه جماعة من العلماء وكانت له مع بعضهم مناظرات علمية أثرت الحياة العلمية باليمن (البريهي، د ت، ص339).

ومن أولئك العلماء فتح الدين محمد التحريري المعروف بابن الحكيم من مصر برز في الأدب والفقه

واللغة، وقصد مكة حاجا والتقى بالعديد من العلماء (الحنبلي، 1979، ص158). ومنهم الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي (ت833هـ/ 1428م) صاحب كتاب العقد الثمين، كان له صلة بعلماء اليمن وقدم إليها في (805هـ/ 1402م)، وجلس للتدريس في عدد من مدارسها وكان متبحرًا في التاريخ والفقه وله عدد من المصنفات (الفاسي، 1979، ص327)، ومن العلماء عيسى بن عبد الرحمن الزواوي (ت878هـ/ 1474م)، وهو من العلماء الذين حجوا بيت الله أكثر من مرة، وكان يقوم بتدريس طلبة العلم الفرائض والحساب (السخاوي، د ت، ص15).

الخاتمة:

خلص البحث إلى عدد من النتائج المهمة التي تبرز المكانة العلمية لليمن والدور الحضاري الذي تبناه السلاطين الرسوليين ومن أبرز تلك النتائج:

- شهدت اليمن أيام الدولة الرسولية ازدهارًا علميًا وثقافيًا ملحوظًا، تجلى ذلك في اهتمام السلاطين والأمراء والتجار بالعلم وتشجيع العلماء وتقديم الدعم المالي والمادي.
- كشف البحث أن الاهتمام بالعلم والعلماء لم يكن مقتصرًا على أحد السلاطين؛ وإنما كانت سمة تميز بها كافة السلاطين الرسوليين، كما أبانت الدراسة أن اهتمام السلاطين بالعلم لم يكن قاصرًا العلوم الشرعية والدينية، وإنما طال كثير من المجالات منها: الرياضيات والطب والزراعية والفلك.
- توصلت الدراسة إلى أن اهتمام السلاطين بالعلم لم يكن مقتصرًا على تشجيع العلماء على التعليم والتأليف؛ وإنما المشاركة في التأليف الذي هو الأخر لم يكن قاصرًا على أحد السلاطين الرسوليين وإنما الغالب منهم وكانت لهم مؤلفات في الطب والزراعة والفلك وغيرها من المجالات.
- أظهرت الدراسة أن اليمن أيام الدولة الرسولية كانت نقطة جذب لكثير من العلماء المبرزين في مختلف العلوم ومن مختلف الأقطار العربية والإسلامية لما لاقوه من دعم وتشجيع من السلاطين.
- ساهم موسم الحج في بناء النهضة العلمية والحضارية لليمن ومثل نقطة التقاء وتواصل للعلماء من كافة البلدان الاسلامية.
- ساهم الحج في انتشار أسواق الكتب بمكة والمدينة وكثرت عمليات النسخ والبيع مما أدى إلى

إثراء الحركة العلمية وازدهار التأليف والإنتاج العلمي.

- ساهم موسم الحج في انتشار ظاهرة المجاورة للحرمين الشريفين من علماء اليمن وعلماء المسلمين، وقد ساهم المجاورون في إثراء الحياة العلمية وتوسيع عملية التواصل الفكري والثقافي، وانتشار المناقشات الفكرية والمناظرات العلمية، وانتاج العديد من المؤلفات في مختلف العلوم.
- برز العديد من العلماء اليمنيين وغير اليمنيين الذين كان لهم دور مهم في عملية التواصل العلمي والاحتكاك الثقافي من أبرزهم: أبو محمد عبد الله اليافعي، وموسى بن عجيل، وأحمد الشرجي والشطبي، أما من علماء العالم الإسلامي فقد برز منهم: أبو بكر القلعي وأبو الفضائل الصفاني، وأبو عبد الله المكناسي، والكاشغري وابن مطرف والاشبيلي والوهراني والفاسي وغيرهم.

المراجع:

- أحمد علي بن علي (1994) الحياة العلمية في مدينة تعز وأعمالها في عصر بني رسول (626-858هـ/1228-1454م)، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.
- آلاء أحمد الأصبحي (2004). المدرسة الأشرفية بتعز زمن الدولة الرسولية في اليمن (دراسة معمارية وتحليلية)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن.
- إدوار هول (2001). البعد الخفي، ترجمة سعيد الغانمي، دار الجمل، بيروت، لبنان.
- إسامة أحمد حماد (2004). مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي بني أيوب وبني رسول، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر.
- أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (1979). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط2، ج7، دار المسيرة، بيروت، لبنان.
- أبو العباس أحمد ابن القاضي (1971). درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ج3، القاهرة، مصر.
- أبو العباس أحمد الشرجي (2023). طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، تحقيق أحمد علوش، ط1، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، اليمن.
- أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي (1993). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق محمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- أبو بكر تقي الدين ابن قاص (1987). طبقات الشافعية، تصحيح وتعليق عبد العليم خان، ج2، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان.
- أبو عبد الله ابن مرزوق (2008). المناقب المرزوقية، تحقيق سلوى الزاهري، ط1، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب.
- أحمد بن يحيى العمري (د.ت). مسالك الأمصار في ممالك الإبصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، مصر.

- أحمد شهاب الدين العسقلاني (د.ت). الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج2، دار المعارف العثمانية، الهند.
- تقي الدين أبي الطيب الفاسي (1969). العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد وآخرين، ج2، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر.
- تقي الدين أحمد المقريزي (2015). السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، ج3، دار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، مصر.
- جمال الدين الأسنوي (1987). طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف الحوت، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- خالد محسن الجابري (2005). الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي 648-923هـ/1250-1517م، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، السعودية.
- رحاب عكاوي (2002). الخوارزمي أبو عبد الله محمد بن موسى صاحب الجبر والمقابلة، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.
- طه حسين (1967). مستقبل الثقافة في مصر، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- طه حسين هديل (2011). "الرحلات العلمية من اليمن والأقطار الإسلامية الأخرى من القرن السابع إلى منتصف القرن التاسع الهجري/القرن الثالث عشر إلى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي"، مجلة التواصل، ع27.
- عبد الحكيم محمد العراشي (2006). "الدولة الرسولية في عهد السلطان المظفر الأول يوسف بن عمر (647هـ-694هـ): دراسة سياسية وحضارية"، مجلة اليمن، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، ع24، ص182-186.
- عبد الرحمن ابن خلدون (د.ت). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج5، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
- عبد الرحمن ابن الديبع (1979). قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ج2، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر.

- عبد الرحمن الحضرمي (1985). جامعة الأشاعر زبيد، ط1، المكتبة اليمنية، صنعاء، اليمن.
- عبد الرحمن مديري المديريس (2003). المدينة المنورة في العصر المملوكي 648-948هـ/1250-1517م: دراسة تاريخية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية.
- عبد العزيز الدوري (2016). مقدمة في تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
- عبد العزيز راشد السنيدي (2005). المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة (570-660هـ/1174-1261م)، بحث مقدم إلى ندوة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية، مكة المكرمة، السعودية.
- عبد العزيز بن راشد السنيدي (2006). "أثر مكة العلمي على بلاد اليمن خلال العصرين الأموي والمملوكي"، مجلة الدرعية، السنة 9، ع34.
- عبد الغني أحمد الحاوري (2019). الحضارة الإسلامية في ركب الحضارة الإنسانية، دار المجد للنشر، صنعاء، اليمن.
- عبد الله بن حمد الحقيل (2023). رحلات الحج في عيون الرحالة وكتابات الأدباء والمؤرخين، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.
- عبد الله محمد الحبشي (1980). حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول، ط2، وزارة الإعلام، الجمهورية اليمنية، صنعاء، اليمن.
- عبد الله قايد العبادي (1995). الحياة العلمية في مدينة زبيد في عهد الدولة الرسولية (626-858هـ/1228-1454م)، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.
- عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي (د.ت). طبقات صلحاء اليمن، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، اليمن.

- عبد القادر سليماني (2023). "المجاورون الجزائريون بالحرمين الشريفين في القرنين 8 و9هـ/14 و15م: الأدوار الاجتماعية والعلمية"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج8، ع3، ص739-760.
- علي بن الحسن الخزرجي (1981). العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، اليمن.
- علي بن الحسن الخزرجي (1814). العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ج2، مطبعة الهلال بالفجالة، القاهرة، مصر.
- علي بن علي أحمد (1994). الحياة العلمية في مدينة تعز وأعمالها في عصر بني رسول (626-858هـ/1228-1454م)، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.
- علي عبد الله عباس (2010). النهضة العلمية في اليمن في العصر الإسلامي، رسالة ماجستير، جامعة الإيمان، صنعاء، اليمن.
- علي عبد الله الدفاع (1983). أعلام العرب والمسلمين في الطب، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- فؤاد عبد الوهاب الشامي (د.ت). رحلات الحج أثناء الحكم العثماني الثاني لليمن 1264-1337هـ/1848-1918م، بحث غير منشور، مكتبة الباحث.
- فتحية مرزوق ونور الدين شعباني (2023). "علماء المغرب الأوسط المجاورون في مكة المكرمة وإسهاماتهم العلمية خلال القرنين 8 و9هـ/14 و15م"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج19، ع1، ص594-613.
- محمد أبو القاسم الحفناوي (1906). تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيير فونتانه الشرقية، الجزائر، الجزائر.
- محمد بن عبد الله ابن بطوطة (1985). تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)، تحقيق علي المنتصر الكناني، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- محمد بن عبد الحي الكتاني (د.ت). الترتيب الإداري للدولة العباسية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- محمد بن الرحمن السخاوي (د.ت). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج2، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- محمد بن صعد التلمساني (2009). روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق يحيى بو عزيز، عالم المعرفة، الجزائر، الجزائر.
- محمد بن يوسف الجندي (1995). السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ج2، وزارة الإعلام والثقافة، الجمهورية اليمنية، صنعاء، اليمن.
- محمد عابد الجابري (1986). تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
- محمد محمد يحيى الحداد (1986). التاريخ العام لليمن، ج2، ط1، منشورات المدينة، بيروت، لبنان.
- محمد معمر (2023). "رحلات الحج في المغرب الأوسط إلى مكة المكرمة خلال العصر الوسيط"، مجلة الحضارة الإسلامية، مج18، ع1، ص277-295.
- محمد يحيى النحلاوي (1980). "التعريف بكتاب تسهيل المنافع في الطب والحكمة لابن الأزرق"، مجلة الإكليل، ع1، صنعاء، اليمن.
- مصطفى حاج قويدر (2023). "إسهام العلماء المجاورين المغاربة في الحركة العلمية بالحرمين الشريفين خلال القرن الثامن والتاسع الهجريين"، مجلة النوازل الفقهية والقانونية، مج7، ع2.
- نوال النحلاوي (1980). "التعريف بكتاب تسهيل المنافع في الطب والحكمة لابن الأزرق"، مجلة الإكليل، ع1، صنعاء، اليمن.
- هنادي عواض الحارثي (2023). "سبل التواصل العلمي بين الحجاز واليمن والعوامل المؤثرة فيها في عصر دولة بني رسول (626-858هـ/1229-1445م)"، مجلة جامعة عدن للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج4، ع1، ص30-47.